# مجلة بحوث الشرق الأوسط

مجلة علمية محكمة ( معتمدة ) شهرية

يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط

السنة السابعة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

العدد الثامن والستون ( أكتوبر ٢٠٢١ )

الترقيم الدولي: (2536-9504)

الترقيم على الإنترنت: (2735-5233)

لا يسمح إطلاقا بترجمة هذه الدورية إلى أية لغة أخرى، أو إعادة إنتاج أو طبع أو نقل أو تخزين أي جزء منها على أية أنظمة استرجاع بأي شكل أو وسيلة، سواء إلكترونية أو ميكانيكية أو مغناطيسية، أو غيرها من الوسائل، دون الحصول على موافقة خطية مسبقة من مركز بحوث الشرق الأوسط.

**All rights reserved. This Periodical is protected by copyright. No part of it may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without written permission from The Middle East Research Center.**

الأراء الواردة داخل المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها وليست مسئولية مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية : ٢٤٣٣٠ / ٢٠١٦

الترقيم الدولي: (Issn :2536 - 9504)

الترقيم على الإنترنت: (Online Issn :2735 - 5233)

# مجلة بحوث الشرق الأوسط

## مجلة علمية مُحكَّمة

## متخصصة

## في شئون الشرق الأوسط

### مجلة مُعتمَدة من بنك المعرفة المصري

موقع المجلة على بنك المعرفة المصري

www.mercj.journals.ekb.eg

- معتمدة من الكشاف العربي للاستشهادات المرجعية (*ARCI*) . المتوافقة مع قاعدة بيانات كلاريفيت *Clarivate* الفرنسية.
- معتمدة من مؤسسة أرسيف (*ARCIf*) للاستشهادات المرجعية للمجلات العلمية العربية ومعامل التأثير المتوافقة مع المعايير العالمية.
- تنشر الأعداد تباعًا على موقع دار المنظومة.

العدد الثامن والستون - أكتوبر ٢٠٢١

تصدر شهريًّا

السنة السابعة والأربعون - تأسست عام ١٩٧٤

المطبعة
مطبعة جامعة عين شمس
Ain Shams University Press

مجلة بحوث الشرق الأوسط (مجلة مُعتمدة)
دوريَّة علميَّة مُحكَّمَة (اثنا عشر عددًا سنويًّا)
يصدرها مركز بحوث الشرق الأوسط والدراسات المستقبلية



رئيس مجلس الإدارة
**الأستاذ الدكتور / هشام تمراز**
نائب رئيس الجامعة لشئون المجتمع وتنمية البيئة
ورئيس مجلس إدارة المركز

رئيس التحرير
**الأستاذ الدكتور / أشرف مؤنس**
مدير مركز بحوث الشرق الأوسط
والدراسات المستقبلية

**هيئة التحرير**

أ.د. محمد عبد الوهاب (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. حمدنا الله مصطفى (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. طارق منصور (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. محمد عبدالسلام (جامعة عين شمس - مصر)
أ.د. وجيه عبد الصادق عتيق (جامعة القاهرة - مصر)
أ.د. أحمد عبد العال سليم (جامعة حلوان - مصر)
أ.د. سلامة العطار (جامعة عين شمس - مصر)
لواء د. هشام الحلبي (أكاديمية ناصر العسكرية العليا - مصر)
أ.د. محمد يوسف القريشي (جامعة تكريت - العراق)
أ.د. عامر جادالله أبو جبلة (جامعة مؤتة - الأردن)
أ.د. نبيلة عبد الشكور حساني (جامعة الجزائر٢ - الجزائر)

إشراف إداري
**عبير عبدالمنعم**
أمين المركز

سكرتارية التحرير
نهى نوار رئيس وحدة البحوث العلمية
ناهد مبارز رئيس وحدة النشر
رانيا نوار وحدة النشر
زينب أحمد وحدة النشر

المحرر الفني
ياسر عبد العزيز
رئيس وحدة الدعم الفني

تنفيذ الغلاف والتجهيز والإخراج الفني
وحدة الدعم الفني

تدقيق ومراجعة لغوية
د. تامر سعد محمود

تصميم الغلاف أ.د. وائل القاضي



توجه المراسلات الخاصة بالمجلة إلى: أ.د. أشرف مؤنس، رئيس التحرير
البريد الإلكتروني للمجلة: Email: middle-east2017@hotmail.com

- وسائل التواصل:

جامعة عين شمس- شارع الخليفة المأمون- العباسية- القاهرة، جمهورية مصر العربية، ص.ب: 11566
تليفون: 24662703 (202+) فاكس: 24854139 (202+) (موقع المجلة موبايل/واتساب): 01098805129(2+)



ترسل الأبحاث من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة المصري: www.mercj.journals.ekb.eg
ولن يلتفت إلى الأبحاث المرسلة عن طريق آخر

# مجلة بحوث الشرق الأوسط


- رئيس التحرير أ.د. أشرف مؤنس

- الهيئة الاستشارية المصرية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الأسكندرية - مصر
- أ.د. أحمد الشربيني عميد كلية الآداب السابق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أحمد رجب محمد علي رزق عميد كلية الآثار - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. السيد فليفل عميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية السابق - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. إيمان محمد عبد المنعم عامر رئيس قسم التاريخ السابق - كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر
- أ.د. أيمن فؤاد سيد رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مصر
- أ.د. جمال شفيق أحمد محمد عامر كلية الدراسات العليا للطفولة - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حمدي عبد الرحمن كلية الحقوق - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. حنان كامل متولي وكيل كلية الآداب لشئون التعليم والطلاب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. صالح حسن المسلوت رئيس قسم التاريخ والحضارة الأسبق - كلية اللغة العربية
  فرع الزقازيق - جامعة الأزهر – مصر
  وعضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة
- أ.د. عادل عبد الحافظ عثمان حمزة كلية الآداب - جامعة المنيا،
  ومقرر لجنة الترقيات بالمجلس الأعلى للجامعات - مصر
- أ.د. عاصم الدسوقي عميد كلية الآداب الأسبق - جامعة حلوان - مصر
- أ.د. عبد الحميد شلبي كلية اللغة العربية بالمنصورة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د. عفاف سيد صبره كلية الدراسات الإنسانية بنات بالقاهرة - جامعة الأزهر - مصر
- أ.د.عفيفي محمود إبراهيم عبدالله كلية الآداب - جامعة بنها - مصر
- أ.د. فتحي الشرقاوي كلية الآداب - نائب رئيس جامعة عين شمس السابق - مصر
- أ.د. محمد الخزامي محمد عزيز عميد كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة الجلالة - مصر
- أ.د. محمد السعيد أحمد كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- لواء/ محمد عبد المقصود رئيس مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء - مصر
- أ.د. محمد مؤنس عوض كلية الآداب - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. مدحت محمد محمود أبو النصر كلية الخدمة الاجتماعية - جامعة حلوان
  قطاع الخدمة الاجتماعية بالمجلس الأعلى للجامعات ورئيس لجنة ترقية الأساتذة
- أ.د. مصطفى محمد البغدادي كلية التربية - جامعة عين شمس - مصر
- أ.د. نبيل السيد الطوخي كلية الآداب - جامعة المنيا - مصر
- أ.د. نهى عثمان عبد اللطيف عزمي كلية السياحة والفنادق - جامعة مدينة السادات - مصر

- الهيئة الاستشارية العربية والدولية وفقًا للترتيب الهجائي:

- أ.د. إبراهيم خليل العَلاّف — جامعة الموصل- العراق
- أ.د. إبراهيم محمد بن حمد المزيني — كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية
- أ.د. أحمد الحسو — جامعة مؤتة- الأردن
  مركز الحسو للدراسات الكمية والتراثية - إنجلترا
- أ.د. أحمد عمر الزيلعي — جامعة الملك سعود- السعودية
  الأمين العام لجمعية التاريخ والآثار التاريخية
- أ.د. عبد الله حميد العتابي — كلية التربية للبنات - جامعة بغداد - العراق
- أ.د. عبد الله سعيد الغامدي — جامعة أم القرى - السعودية
  عضو مجلس كلية التاريخ، ومركز تحقيق التراث بمعهد المخطوطات
- أ.د. فيصل عبد الله الكندري — جامعة الكويت- الكويت
- أ.د. مجدي فارح — رئيس قسم الماجستير والدراسات العليا - جامعة تونس١ - تونس
- أ.د. محمد بهجت قبيسي — جامعة حلب- سوريا
- أ.د. محمود صالح الكروي — كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد- العراق

- *Prof. Dr. Albrecht Fuess* — Center for near and Middle Eastem Studies, University of Marburg, Germany
- *Prof. Dr. Andrew J. Smyth* — Southern Connecticut State University, USA
- *Prof. Dr. Graham Loud* — University Of Leeds, UK
- *Prof. Dr. Jeanne Dubino* — Appalachian State University, North Carolina, USA
- *Prof. Dr. Thomas Asbridge* — Queen Mary University of London, UK
- *Prof. Ulrike Freitag* — Institute of Islamic Studies, Belil Frie University, Germany

# محتويات العدد ٦٨


| عنـوان البحـــث | الصفحـــة |
|---|---|

- **الدراسات التاريخية:**

**١- أضواء على رؤية الأستاذ الدكتور إسحاق عبيد التاريخية في دراسته «روما وبيزنطة»** ..... ٣ – ٢٤

أ. د. محمد مؤنس عوض

**٢- استراتيجية التعامل الروسي مع إقليم كردستان العراق منذ عام ٢٠١٤** ..... ٢٥ – ٤٦

م.د. مصطفى إبراهيم سلمان الشمري

**٣- التوظيف الأمريكي للمتغيرات الإقليمية في تسوية الصراع العربي – الإسرائيلي** ..... ٤٧ – ٦٤

أ.م.د. أحمد عبد الأمير الأنباري

**٤- الصراع الأسباني – البريطاني حول جبل طارق بين المصالح المشتركة والحقوق الوطنية (١٨٩٨-٢٠٠٩م)** ..... ٦٥ – ١٢٤

د.أماني صلاح الدين سليمان

**٥- عقلنة الخطاب السياسي لتحديد مستقبل العلاقة بين الحكومة الاتحادية وإقليم كردستان العراق** ..... ١٢٥ – ١٤٨

م.د. أيمن أحمد محمد & م.د. رنا مولود شاكر

**٦- التوجهات الاقتصادية والسياسية لروسيا الاتحادية تجاه الشرق الأوسط «سوريا نموذجًا»** ..... ١٤٩ – ١٨٦

د. أحمد جمعة عبد الغنى حسن & د. رامى على محمد عاشور

- **دراسات اللغة العربية:**

**٧- مستويات الخطاب في أدب الرحلة دراسة في شرق وغرب لمحمد حسين هيكل** ..... ١٨٩ – ٢١٠

م. د. ضرغام عدنان صالح الياسري

# تابع محتويات العدد ٦٨


| عنـوان البحـــث | الصفحـــة |
|---|---|
| ٨- **تعدد الآراء في المذهب الحنفي قائم على أصول(الحقيقة والمجاز أنموذجًـــا** ..... | ٢١١ - ٢٤٢ |
| م.م. نبراس محمود عبد الرزاق & م.م. هدى محمد محسن | |
| • **الدراسات الاجتماعية:** | |
| ٩ - **مهارات القراءة وعلاقتها بعمليات الذاكرة لدى طلبة المرحلة المتوسطة** ..... | ٢٤٥ - ٢٧٢ |
| أ.م.د. عدي راشد محمد القلمجي | |
| ١٠- **عملية الإصلاح في العراق ودورها في تعزيز ثقافة الاعتدال والتعـــايش** ..... | ٢٧٣ - ٢٩٦ |
| م.د. أحمد محمد علي جابر العوادي | |
| ١١- **الوضع الاجتماعي العراقي عام ١٩٣١ ورأي الصحافة العراقية..** | ٢٩٧ - ٣٢٢ |
| المدرس/ فيان حسين أحمد | |
| • **الدراسات الاقتصادية:** | |
| ١٢- **الاستثمار في رأس المال الفكري كمدخل حديث لإدارة الموارد البشرية في ظل اقتصاد المعرفة** ..... | ٣٢٥ - ٣٧٤ |
| د. محاسن السيد نصر محمود جاد | |
| • **الدراسات الفنية:** | |
| ١٣- **آليات إعداد الممثل في المسرح العراقي المعاصر «صلاح القصب في مسرح الصورة أنموذجًا»** ..... | ٣٧٧ - ٤٠٤ |
| د. عمار عبد سلمان محمد | |
| ١٤- **الأبعاد الجمالية لسيمياء التواصل العلاماتي وتمظهراتها في فنـون مـا بعـد الحداثـة** ..... | ٤٠٥ - ٤٣٢ |
| أ.م.د. هيلا عبد شهيد مصطفى | |
| ١٥- **توظيف استراتيجية المتشابهات لتطوير الانطباع البصري عند طلبة التربية الفنية حول التكوين الفني** ..... | ٤٣٣ - ٤٦٠ |
| أ.م.د. عمر عنيزي سلمان | |

# تابع محتويات العدد ٦٨


| عنـوان البحـــث | الصفحـــة |
|---|---|

- **الدراسات اللغوية:**

**16- Влияние членения и порядка слов на грамматическое и семантическое значение простых предложений в русском языке** ..... **1-16**

Аль Шаммари Маджида Джамиль Ашур

**تـأثير تقسـيم وترتيـب الكلمـات علـى المعنـى النحـوي والـدلالي للجمـل البسيطة في اللغة الروسية.**

د. ماجدة جميل عاشور الشمري

**17- Dr. Hamed Gohar and the establishment of the National Institute of Oceanography and Fisheries in Hurghada from 1928-2020 AD** ..... **17 - 54**

Prof. Ashraf Mo'nes & Dr. Abdelraheam Hamed

**الـدكتور حامـد جـوهر وإنشـاء المعهـد القـومي لعلـوم البحـار والمصـايد بالغردقة من ١٩٢٨-٢٠٢٠ م**

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس & د. عبدالرحيم حامد أحمد محمود

**18- The Extent of Knowledge in Iraqi Women To Furnish Bedroom** ..... **55 - 76**

Siham Muhsin Amwilih Al-Rubaiee

**مدى معرفة المرأة العراقية لتأثيث غرفة النوم**

الباحثة/ سهام محسن الربيعي

# مستويات الخطاب في أدب الرحلة
# دراسة في شرق وغرب
# لمحمد حسين هيكل

**م. د. ضرغام عدنان صالح الياسري**
**قسم اللغة العربية – كلية التربية الأساسية**
**جامعة سومر– العراق**

www.mercj.journals.ekb.eg

**الملخص:**

يدرس هذا البحث ظاهرة تعدد مستويات الخطاب في كتاب (شرق وغرب) للأديب الكبير (محمد حسين هيكل)؛ إذ توافر هذا النص الأدبي – الذي يندرج ضمن أدب الرحلة – على عدد من مستويات الخطاب، نفذت من خلالها رؤية الكاتب في عدد من القضايا المعرفية والاجتماعية التي شاهدها في رحلاته المتعددة، فكانت الرؤى النقدية التي تبناها هيكل هي المستوى الأول من مستويات الخطاب في هذا المنجز الأدبي، أما المستوى الثاني، فقد كان في الخطاب الاجتماعي الذي عاينه الرحالة هناك، فروى مشاهداته بأسلوب أدبي رفيع؛ لتكون تجربة إنسانية متاحة للقارئ العربي يثري بها وعيه الاجتماعي، ليأتي بعده الخطاب الديني، وخصوصية الرؤية التي صاغها هيكل بحسب مشاهداته، وهي تختلط بأفكاره الخاصة ضمن سياق أدب الرحلة المعبر عن تجارب الآخر.

merj-journals.eg
M.E.R.C
ISSN 2536-9504

**Abstract:**

This research studies the phenomena of different levels of speech of the book (East and West) of the big author (Mohammed Hussien Heikal) ,this Literary text has been found numerously and fall within the Literature of the journey on many different levels of speech, the point of view of the writer has been executed in many fields (cognitive and social) that have seen on his different journeys , the monetary Insights that Heikal adopted was the first level of levels of speech in this Literary achievement, and as for the the second level it was in the social speech that was observed by the travelers there, he narrates his views in supreme Literary style to become the social experiment is available to the Arabic readers to enrich their social consciousness, later comes religious speech, especially the vision that Haikal has formed according to his views, moreover it mixes his special ideas within the context of journey literature that express others experiences.

M.E.R.C
ISSN 2536-9504

**المقدمة:**

يكتنز أدب الرحلة أهمية كبيرة في منظومة التراث العربي قديمًا، حيث كانت الرحلة سفرًا يتجاوز الأبعاد الجغرافية لما هو معرفي وثقافي، فالانتقال من بلد إلى آخر يمثل فيما يمثله قنوات تواصل بين المجتمعات المختلفة، فتتحاور الأفكار وتتلاقح فيما بينها، فتستجد معارف، وتتطور آخر، وتذوي ثالثة بتأثير من التجارب الإنسانية المتراكمة، وليست الرحلة في الأدب العربي الحديث أقل أهمية منها؛ إذ جاب الرحالة العرب المحدثون آفاق العالم الرحبة، وشاهدوا طبيعة حياة المجتمعات الأجنبية، ونهلوا من معارفها وآدابها فاختلط الوافد بالمحلي، فأثريت الثقافة العربية بتشعب روافدها.

ورحلة الأديب المصري الكبير (محمد حسين هيكل) الموسومة بـ(شرق وغرب) إحدى روائع أدب الرحلات في العصر الحديث؛ إذ ضمها المؤلف أفكارًا قيمة، وتجارب إنسانية ثرية ترتبط بواقع الحياة اليومية التي شاهدها الرحالة هيكل، وقد تعددت مستويات الخطاب فيها؛ بحسب الموضوعات التي تعالجها في إجرائها السردي، ورصد تعددية الخطاب هي الفرضية الرئيسة التي صدرت عنها هذه الدراسة، كما إن رصد مكونات الخطاب وتبويبها بشكل موضوعي، يعد من صميم الدراسة النقدية التي تستكشف هذا النوع الأدبي، وهذا ما تهدف إليه هذه الورقة البحثية، ومما يميز هذه الرحلة أيضًا مضافًا إلى ما تميزت به من تعدد في مستويات الخطاب، إنها مجموعة رحلات جمعت في كتاب واحد، فالرحالة هيكل تجوّل في عدد من العواصم الأوربية وولايات أمريكا الشمالية، وكذلك البلدان والمدن العربية والإسلامية، فقدم للقارئ العربي مادة رحلية مكتنزة بالكثير من الإشارات الرامزة، وكذلك قضايا معرفية من صميم التجارب الإنسانية التي زارها، وقد كان نصيب هذه الدراسة تسليط الضوء على مستويات أو تعدد الخطاب فيها، حيث برز الخطاب النقدي بوصفه أحد مكونات هذا النص الأدبي؛ إذ ضمنه الكاتب لعدد من الرؤى النقدية بشكل مشوق وضمن سياق الرحلة، حيث أثار جمال (وطن شكسبير)، قريحة الكاتب الرحالة في استكشاف

أثر (جمال المكان) في توجيه النتاج الأدبي عند أعجوبة الأدب الإنكليزي شكسبير، وكذلك من خلال عرض المؤلف لطبيعة الحياة الفنية، ونشاط المسارح ودور النشر في باريس، ومدى إقبال المجتمع الفرنسي على القراءة إلى درجة جعلت من الطباعة والنشر تجارة كبيرة، وأثر ذلك النشاط في تقدم الحياة وتطورها في فرنسا.

يضاف إلى ما تقدم، فإن الخطاب الاجتماعي في شرق محمد حسين هيكل وغربه، يعد مكونًا له أهميته الخاصة؛ بلحاظ ما قدمه الكاتب من وجهات نظر قيمة في تقيم خصائص المجتمعات التي زارها، وتقديمها إلى القارئ العربي بوصفها مفحوصة علميًّا، تمكنه من معرفة ما توصل إليه الآخر ضمن تشكيلة المجتمعات الإنسانية، كما يسهم الخطاب الاجتماعي الذي عرضه الرحالة هيكل في معرفة الذات العربية، وتقييم مكوناتها المعرفية على وفق ما اتصف به الآخر، أي ثمة إمكانية لعقد مقارنة ضمنية قوامها آليات التلقي؛ إذ يستحضر القارئ واقعه اليومي بإزاء ما يقرأه في شرق وغرب، ومن ثم يصل إلى استنتاجات خاصة به من دون إملاء المؤلف، فالقارئ في هذا السياق يمارس حضورًا فاعلًا في إثراء عملية القراءة والتلقي للخطاب الاجتماعي.

أما الخطاب الديني الذي تشكّل في الرحلة، ومن ثم رصده في هذه الدراسة، فله أهمية من نوع خاص؛ وذلك على أساس الرؤية الوحدوية التي صدر عنها هذا الخطاب؛ إذ بد الكاتب يستهدف (النوع الإنساني) بوصفه غاية مقصودة لذاتها، ورفض التحجيم بمحددات دينية ضيقة تحجّم القيم الإنسانية، فالرحالة هيكل – وضمن هذا الخطاب – عرض لموضوع ديني واحد، ولكن من زاوية نظر متعددة شملت الرؤية الإسلامية، والمسيحية، واليهودية، على حد سواء، وجل ما يعنيه هو وحدة الشعور الإنساني تجاه ما اصطلح عليه الكاتب بـ(فكرة الأماكن المقدسة)، وليس غريبًا أن يتبنى الكاتب مثل هذه الرؤية في منجزه الأدبي؛ كونه شخصية عربية عالية الثقافة، قدمت نموذجا حيّا لما ينبغي أن يكون عليه الكاتب المثقف في إنتاج الوعي الإنساني الذي يجمع ولا يفرق، وبهذا اكتنز نص شرق وغرب بمستويات خطابية متعددة تلتقي في مسار إنساني واحد.

**التمهيد:**

**الرحلة من تعدد الأمكنة إلى تعدد الخطاب:**

ثمة تداخل كبير بين أدب الرحلات وتعدد مستويات الخطاب؛ بوصف الرحلة أدبا يرتكز بشكل جوهري على خصوصية المكان وإمكانية تغييره، حيث الارتحال من بيئة ثقافية إلى أخرى، قد تباينها في تركيبة البنية الفكرية على مستوى الدين والسياسة والتاريخ والأدب، وكذلك نمط العلاقات الاجتماعية السائدة في مكان معين دون غيره، وما ينتج عنها من مقولات تأسيسية، كما (أن التداخل بين الارتحال والبحث والاكتشاف ثم التعرّف، ينتهي برواية تنتقل من مرحلة التخييل السردي القائم على اختلاق حكاية، إلى مرحلة المشاركة في بحث قضية إشكالية، ومما تتميز به هذه الرواية هو الانخراط في صلب الموضوعات التاريخية والدينية والاجتماعية، ضمن إطار سردي يمزج الواقع بالمتخيلات، فالفرضية السردية قائمة على أساس الخلط بين الاثنين، وعملية التمثيل السردي تميل إلى نوع من التقريرية التي تجعل من ذلك موضوعًا للبحث)[١].

ومن الضروري الإشارة إلى أن الأدب العربي حفل بالكثير من الرحلات التي جاب بها الرحالة العرب مختلف الأقطار العربية وغير العربية، سواء كانت إسلامية أم غير إسلامية؛ ولدوافع شتى، وظل هذا اللون من الأدب فاعلًا مؤثرًا في إثراء الذاكرة العربية إلى عصرنا هذا، وقد اختلفت دوافع الرحلات بحسب الرحالة، والمناطق التي يرتحلون إليها (وأيا كانت دوافع الرحالة المعلنة منها والخفية، فقد اتصفت أغلبية الرحلات– ولو بدرجات متفاوتة– بدقة الملاحظة والوصف، والتقصي في تسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق، كما حرص معظمهم على التفرقة بين المشاهدة والرواية، عند تسجيل معلوماتهم)[٢]، وموضوع الرحلة وخطابها قابل للتعدد والتغيير بحسب سياقاتها الخاصة، وفي الوقت نفسه اكتنازها للإمكانيات التعبيرية السردية؛ لذلك استقر نقديا توصيفها بالأدب على الرغم من وجود إشكالية التجنيس لها، فالكثير من الرحالة العرب – قديمًا وحديثًا – يوصفون بالأدباء؛ إذ (نجد بعضهم على الأقل قد برزوا أيضًا

كأدباء، وأن مادة رحلاتهم قد زخرت بالعناصر الأدبية، هذا وقد درج الكتاب العرب على استخدام عبارة (أدب الرحلات) للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين)[٣].

ودوافع الرحلة في الأغلب تكون لأغراض دينية أو علمية أو سياسية أو اقتصادية أو صحية أو سياحية ثقافية[٤]، ولشدة الوقع والتأثير الكبير الذي يقع على الرحالة لما يشاهده من أحوال الناس على مستوى الفكر وسمات الثقافة لديهم وطبيعة جغرافية أوطانهم يدوّن الرحالة أسفارهم؛ لتكون تجربة إنسانية متاحة لمن يقرأها، مع إمكانية الإفادة منها كمظهر من مظاهر التلاقح الثقافي، ويؤشر أدب الرحلات على إتقان الصنعة القصصية في الأدب العربي[٥]؛ لذلك يمكن تصنيف الرحلات في التراث العربي على أنها من النثر الفني القديم، وكذلك في العصر الحديث؛ إذ يمكن إدراجها ضمن منظومة السرد العربي بوصفها نوعًا سرديًّا له خصائصه النوعية الفارقة التي تمنحه هوية أدبية مائزة، وما يكتب في هذا الأدب – بصورة عامة – وسواء كانت الرحلة قديمة أم حديثة، فإن (بعضها من وحي العقل، وبعضها من وحي الوجدان)[٦]، وإذا كانت (الرحلة بوصفها خطابًا إبداعيًّا، ينجزه مرسل على وفق قواعد وآليات وغايات وخلفيات ثقافية تمثل عقدا بين المرسل والمرسل إليه)[٧]، ولما كانت اللغة بوصفها نشاطًا اجتماعيًّا، فإن مستوياتها تتعدد وتتنوع بحسب تنوع ثقافة الناطقين بها، وطبقاتهم الاجتماعية[٨]، وهذا ما ينطبق على الأديب محمد حسين هيكل، فهو الأديب القادر على الإفصاح عن مستويات خطاب متعددة بلغة أدبية آسرة. ومن الضروري الالتفات إلى أن هذا التعدد في مستويات الخطاب، ينظر إليه على أنه عنصر ثراء في أدب الرحلة، بل إن أدبيتها تتحقق من مجموعة خطابات بعضها أدبي وبعضها خارج إطار الأدب بحكم ارتباطه بالواقع الاجتماعي والسياسي، الذي يؤدي إلى القول بتعددية الخطاب فيه[٩]؛ لذلك كانت هذه الدراسة في أدبية الرحلة عند الرحالة هيكل، ومن زاوية نظر ترصد مستويات الخطاب عنده في رحلته (شرق وغرب).

## المبحث الأول

## الخطاب النقدي

توافرت رحلة الأديب محمد حسين هيكل الموسومة بـ(شرق وغرب) على خطاب نقدي من جهة ما تضمنته من رؤى عبّر فيها المؤلف عن كيفية تشكل عناصر الإبداع في الأدب وذلك من خلال سياق كلامه عن أدب شكسبير، ولكن لا يجد القارئ هنا أسسًا فلسفية أو نظرية تصاغ عليها المقولات النقدية كما تعودنا في مختلف الدراسات النقدية؛ إذ جرت العادة أن يكون الكلام في النقد الأدبي إما بشكل نظري مجرد يستهدف دراسة مقولات نقدية بعينها من خلال عرض نظرياتها، أو من خلال إجراء دراسات تطبيقية لبعض المنجزات الأدبية، فسياق الكلام النقدي في هذا النوع الأدبي يتشكل بحسب طبيعته بوصفه (أدب رحلة) محددة الزمان والمكان؛ لذلك كان الخطاب النقدي يرصد أثر المكان في إثراء الأدب، فالكاتب قصد مدينة (سترانفورد) التي سماها (وطن شكسبير)، وراح يفتش في طبيعتها وأسرار جمالها؛ بهدف رصده كعنصر فاعل ومؤثر بشكل قوي في تنمية الموهبة الأدبية عند شكسبير، أي من جهة بواعثه في نفس المبدع.

يقول الرحالة هيكل: (أقصد مدينة سترانفورد القائمة على نهر إيفون...وأقصد ما يحيط بها من طبيعة، هي أول ما تفتحت عليه إنسانية الشاعر النابغة الخالد خلودا لا سبيل إلى أن يجني عليه الزمان...استطعت أن أفهم من شكسبير أضعاف ما كنت أفهم منه من قبل، وأن أنفذ إلى روحه من خلال هذه الطبيعة التي خلعت على شعره وعلى عبقريته من إلهامها، ما يثير في النفس النشوة التي تسحرها...زرت سترانفورد في أوائل أيام الخريف، فلم أكد أراها حتى وقفت دهشًا مأخوذًا؛ إذا كان هذا جمالها في الخريف فما عسى يكون جمالها في الربيع)[١٠].

فهذا النص للأديب هيكل اكتنز بحمولة دلالية قيمة، توحي للقارئ أكثر مما

تصرح له، وإن كان صريح قولها معبرًا عن رؤية جمالية تستكشف روح الجمال التي يبعثها سحر الطبيعة الأخّاذ في روح الإنسان، فما ظنك إذا كانت تلك الروح مبدعة إبداع شكسبير، يضاف إلى ذلك أنه ثمة رؤية نافذة تسبر أغوار المنتج الأدبي؛ للتفتيش عن العلائق الداخلية التي تسهم في تكوين عناصر الجمال في المنجز الأدبي، فهيكل – ضمن هذا السياق – يتابع جمال الأدب عند شكسبير من خلال جمال طبيعة مدينة سترانفورد؛ لذلك يقول: (هذا وحي الطبيعة، وأثره في شعر شكسبير)[١١].

وليس شكسبير الشاهد الوحيد على بث الرؤى الجمالية عند الأديب محمد حسين هيكل، بل إن تطور الحياة الاجتماعية انعكس بشكل كبير طبيعة الحياة العقلية الأوربية، ومنها الحياة الأدبية حيث يقول: (ما أسرع ما تتغير أوروبا في هذه السنوات الأخيرة، لم تمض بعد سنوات ثمانية منذ زرتها للمرة الأخيرة، وها أنذا مع ذلك أرى فيها من التبدل ما أستعد للتفكير فيه قبل الحكم عليه: أصالح هو أم غير صالح؟ بلغت باريس صبح السبت الحادي عشر من هذا الشهر، شهر سبتمبر سنة ١٩٣٧، وحرصت أن أرى الكوميدي فرانسيز في المساء، فليس أحب على نفس في حياة باريس أثناء الصيف من مسارحها، وليس بينها مسرح بلغ من الكمال ما بلغته الكوميدي، وأعجبت بما رأيت يومئذ أيما إعجاب، ثم زرت الكوميدي يوم الاثنين الثالث عشر من سبتمبر وأعجبت أيضًا لكن الكوميدي فرانسيز ليس الكوميدي فرانسيز الذي ألفت أيام كنت طالبًا من سنة ١٩٠٩إلى سنة ١٩١٢...كانت الكوميدي صلة الحاضر بالماضي)[١٢].

ويتداخل الاستغراب بالإعجاب عند الكاتب، وهو يرى أوروبا تسرع في تغيير أحوالها، إلى الحد الذي يبدو فيه هذا التغيير كبيرًا إلى درجة يرى فيها الكاتب نفسه مدعوا للتفكر قبل إصدار حكم التقييم، ومن الضرورة العلمية بمكان أن يُلتفت إلى وجهة نظر الكاتب وهي تستبين تحول الحياة في أوروبا، أو قل في فرنسا وفي باريس على وجه التحديد، إنما اتجهت نحو أثر تطور الحياة اليومية في توجيه الحياة الأدبية، وخصوصًا المسارح التي بدت هي الأخرى مظهرًا من مظاهر التغيير، وما

يدرينا لعلها هي من العناصر الفاعلة في هذا التطور السريع الذي تشهده باريس، وخلاصة القول: إن الكاتب قد تبنى رؤية نقدية تلامس حياة الناس من قريب؛ لتجسد حالة من تبادل الأدوار في التأثير المشترك فاعلة ومنفعلة في وقت واحد، وليس خافيًا أن ما أورده هيكل أو لنقل ما شاهده بعينه وساقه إلى القارئ العربي، قد توافر على القول الصريح بواقعية الأدب وأثره الفاعل في الاستجابة لمقتضيات التطور الاجتماعي، مثلما يسهم الأدب في إذكاء شعلة تقدم المجتمعات البشرية ورقيها، وهذا هو شأن الأمم الحية، فهي في تقدم وتطور دائبين، وفي سباق مع الزمن، قدم من خلاله الجيل السابق كل مقومات النجاح للجيل اللاحق، وهنا يكون المؤلف قد قدم لقارئه نموذجًا حيًّا لتجارب الأمم الأخرى؛ ليكون باعثًا ومحفزًا لاستلهام الدروس مما يعرضه من خطاب إلى القارئ العربي.

## المبحث الثاني

## الخطاب الاجتماعي

يعد الخطاب الاجتماعي واحدًا من المكونات الرئيسة التي تضمنتها رحلة (شرق وغرب)، للأديب محمد حسين هيكل، وقد جاء على شكل مقارنات بين المدن الأوربية الكبرى التي زارها، معتمدا آلية إشراك القارئ فيما يقوله محققا بذلك حالة من اندماج المتلقي مع النص المكتوب؛ لمنح النص حالة وجدانية عالية الشعور تصل بالقارئ إلى درجة المشاركة العاطفية مع الكاتب، حتى يصير الأمر في بعض الحالات، أن يجد القارئ نفسه وكأنه يرى ما يصفه الكاتب من جمال المكان، وما فيه من خصائص تستهوي القارئ الذي يجد نفسه أمام خطاب اجتماعي جديد، أو لنقل حياة مغايرة لما ألفه في مجتمعه تتوق إليه نفسه.

ففي سياق ما أسماه الكاتب بـ(روح برلين، وروح لندن، وروح باريس)، عرض لطبيعة الحياة في هذه المدن الأوربية الكبرى، مبينا مدى التفاوت في الارتباط

بالتاريخ؛ إذ يقول: (أما أهل باريس فيقولون: إنه روح المُحْدَث الذي جمع مالا، فحسب إنه بالمال يقيم له حَسبًا ويقيم له تاريخًا...وظلت نفسه مع ذلك نفس المُحْدَث برغم ما يحاول من اصطناع ذي الجاه والحَسَب، ولقد كنت من قبل سريعًا إلى تصديق هذا؛ إذ كانت برلين مدينة حديثة، لم تمضِ على عمارتها في صورتها الحاضرة أكثر من مئة سنة، لكنني الآن أعترف بأن هذا المُحْدَث الذي بنى برلين جمع إلى الذكاء المثابرة والنشاط، فاستطاع بقوة جلده وصبره وبمداومته الجد والعمل، أن ينشئ في المدينة روحًا هي روح النظام، وأن يسمو في تقليده لندن وباريس على كثير مما في لندن وباريس، وإن بقي برغم سموه مقلدًا، وإن كانت حداثته قد جعلت عظمة برلين وجمالها لما يأخذا طابعًا خاصًّا، ولم يخلع عليها الزمن من قداسة القدم ما يبعث إلى روح باريس بنوع خاص قوة وروعة، تشهدها في طرقها الضيقة المحاطة بالمباني القديمة الجميلة، أكثر مما تشهدها في الأحياء المُحْدَثة البرلينية)[١٣].

ففي هذا النص، بدا الأديب محمد حسين هيكل يساوي بين هذه المدن الثلاثة وروحها، فالذكاء والمثابرة والنشاط والجد والعمل في برلين، عوّض عن الانقطاع التاريخي، أو قل عوّض عن حداثة السن في العاصمة الألمانية برلين، إلى درجة أن (عظمة برلين وجمالها) الذي أنشأ (روح النظام)، يضاهي (قداسة القدم) في المدينتين التاريخيتين لندن وباريس، وبهذا يكون الرحالة هيكل قد أمسك بوسط العصا وساوى بين هذه المدن، مع ما انمازت به كل واحدة منها من خصوصية الحياة فيها، فبرلين روح الحداثة والمعاصرة، والعمق الحضاري في باريس ولندن، ولعله في هذه المساوات تابع ما في هذه المدن الكبيرة من بنيات فكرية وأنساق ثقافية، تعتز كل واحدة منها بما تتميز به من خصائص، مع نظرة استشرافية طامحة إلى الأمام في برلين، وهي تقيم مجدًا حداثيًّا ينشد بناء حاضرها، من دون أن تكون قلة الانتماء التاريخي عائقًا لها في وجهتها الصاعدة، بينما الأمر في باريس ولندن بدا مشابهًا لما في برلين من علو الهمة وقوة الطموح، إلا إنه في هاتين المدينتين يستند على أسس حضارية عريقة تعتز

بإرثها التاريخي القديم، فالكل سائر في طريق الرقي والتطور، وإن تباينت بعض الرؤى أو المفاهيم؛ وذلك تبعًا لاختلاف بعض الأدوات المعرفية التي تشكل منظومة الوعي في هذه العواصم الأوربية الكبرى. وهذه النظرة المتباينة إلى التاريخ في هذه المدن الأوربية، قد يكون لها ما يخالفها في الولايات المتحدة الأمريكية، الوجهة الأخرى لرحلة محمد حسين هيكل وخصوصًا في نيويورك؛ إذ يقول هيكل عند زيارته لهذه الولاية الأمريكية: (كل ما هنالك يتضوع بروح الشباب ومغامراته، ولا يقيم وزنا لكثير من الاعتبارات التي تقيمها الشعوب التي تنوء تحت عبء التاريخ، وإن ذخرت صحفه بالمجد، فهو عبء على كل حال، وهو عبء يثقل كاهل الأجيال المتعاقبة باعتبارات يسخر منها الأمريكيون، حين تلقى عليهم صورها وآثارها)[١٤].

يتضح من خلال هذا النص أن الرحالة هيكل وضمن هذا السياق، يقلل من أهمية التاريخ ليس لدى أهل نيويورك فحسب، بل إنه ينظر إليه على أنه عبء يثقل كاهل الأجيال القادمة التي تلي تلك المراحل التاريخية وخصوصًا الطويلة منها، فهو يرى أن من أسباب تقدم المجتمع الأمريكي أنه (شعب ديمقراطي بطبيعة نشأته وتكوينه، لا يعرف الارستقراطية في الآباء والأجداد)[١٥]، أي إن بنية العقل الأمريكي بحسب ما يراه هيكل في رحلته هذه، عقل عملي بامتياز لا يعنيه الخضوع للماضي، أي إنه مجتمع تنظر عينه إلى الأمام، وهدفه النجاح عبر مواصلة العمل، فالإنسان ابن زمانه وضمن مرحلته التي لا يجاوزها، هذه الرؤية الأمريكية انعكست بقوله: (وفتوة الشباب هذه، تتناول الشعب كله بجميع طبقاته؛ ذلك بأنها تجعل قيمة العمل فوق كل قيمة، وتجعل النجاح في العمل أساس كل اعتبار)[١٦].

ولا غرابة في هذا الأمر؛ إذا علمنا إن (تقديس العمل عند الشعب الأمريكي)، بنية معرفية ومعيارا اجتماعيًّا في الحياة، رصدها الكاتب في حياتهم اليومية، بل إن ذلك سر نجاحهم، ومما تقدم يكون موقف الرحالة هيكل من التاريخ معروفا لدى قارئه في رحلته موضع الدراسة، فهو وضمن عرضه لطبيعة التفكير عند الشعب الأمريكي، تسرب

ضمنا نسق فكري قد يتبناه هيكل من دون أن يفصل القول فيه، يتضمن نقدًا خفيًّا للعقلية العربية التي عاشت حياتها بأصول تاريخية قديمة، تقدس الماضي إلى المستوى الذي انسحب سلبًا على الواقع الحضاري المعاصر؛ مما أدى إلى ضياع حاضر الأمة، وأدى إلى عتمة مستقبلها؛ إذ يخشى هيكل من الهيمنة الكلية للعقل التاريخي.

والأديب محمد حسين هيكل وبصورة عامة، يرى أن الخروج على قيود الماضي، هي ضرورة إنسانية تقتضيها حياة المجتمع الإنساني المعاصر في تلك المدن أو الدول التي زارها، حيث خطت خطوات كبيرة نحو التطور؛ إذ يقول: (دلالة هذا التطور عندي: أن ثورة الحاضر بالماضي بلغت في هذا العهد الأخير من القوة، أن طأطأ الماضي هامته للحاضر، تاركا المكان له مكتفيًّا بأن بيقى...متحفا يراه الناس فيه مصورا لا كما كان، ولكن كما يفهمه أهل هذا الجيل، ولا عجب في أن ينتصر الحاضر في عصرنا على الماضي وأن يسلبه أقداسه، فقد أسرع التطور في حياة العالم منذ بدأت الحرب الكبرى في سنة ١٩١٤)[١٧]، ومما يسلط الضوء أكثر على طبيعة الخطاب الاجتماعي عند الرحالة هيكل قوله أيضًا: (في باريس ظاهرة لم أرَ مثلها في ما زرت من سائر العواصم، وهذه الظاهرة أكثر وضوحًا في الحي اللاتيني منها في سائر أحياء العاصمة الفرنسية، فالمكتبات في شارع سان ميشيل وفي الشوارع المتفرعة منه لا يكاد يحصيها العد)[١٨].

فمن خلال هذا النص، يلفت الأديب محمد حسين هيكل نظر قارئه بشكل مشوّق إلى سمة رآها واضحة هناك في باريس، وهي العناية الكبرى في المكتبات حتى أصبحت تجارة رائجة جدًا لا يحصيها العد، هذه العناية دلت على المستوى العالي لرقي الشعب الفرنسي أو قل الباريسي بشكل خاص، وبهذا يكون الكاتب قدّم إجابات وافية لما قد يعرض للقارئ من أسئلة متنوعة، تبحث عن أسباب تقدم تلك الشعوب وتطور حياتها، أو لعله حرص على أن يعطي ما يقنع قارئه بما وراء ذلك التقدم، وهنا ينفذ نسق مضمر في الخطاب الاجتماعي عند الكاتب، فقارئ الرحلة سيدور في عقله

شيء من الشوق لذلك المستوى العالي الذي يعيشه المجتمع الفرنسي، وإذا ما أريد بعث هذه الأمة والارتقاء بحاضرها وأن تأخذ دورها في نهضتها، فهو أي الكاتب يقدم نموذجًا يمكن أن يحتذى به وبطريقة تعامله مع الحياة العلمية، وإقامة حياتهم على أسس علمية، فتحت الباب واسعًا لرقي تلك الشعوب؛ لذلك يمكن القول في خلاصة هذا المبحث: أن الرحالة هيكل هنا لم يكن ساردًا واصفًا لما شاهده في رحلته هذه، وإنما أعطى تقييما لما عليه نحن في العالم العربي والإسلامي من خلال صورة الآخر الغربي، أي إنه أعاد تقييم الذات من خلال عرضه للمتبنيات المعرفية في تلك المدن الغربية التي زارها بروح علمية فاحصة وناقدة، تترصد أشكال الحياة وتحولاتها من مكان لآخر ومن زمان لآخر، فالنسق الاجتماعي بوصفه خطابا بدا واضحًا في رحلته هذه، يصرح بمقولات معينة وتستهدف أخرى قد لا تظهر علنًا، وإنما من خلال القراءة التي تتعقب مُعلن النص ومضمره، فهي رحلة معبرة عن مقاصد إنسانية هادفة تجعل القارئ مشاركًا في إنتاج الدلالات الكلية للرحلة، بما رصده الكاتب بعينه النافذة لدقائق المسائل الاجتماعية التي شاهدها.

M.E.R.C ISSN 2536-9504

## المبحث الثالث

## الخطاب الديني

للرحالة محمد حسين هيكل في شرقه وغربه خطابا دينيًّا وحدويًّا، ضمنه نصه الأدبي؛ إذ استقرأ الأبعاد الروحية لعدد من الشعائر الدينية في الأديان السماوية الرئيسة: (الإسلام، والمسيحية، واليهودية)، ولم يختلف سياق كلامه لديه في إظهار الميل لديانة معينة دون غيرها، مما يعكس قلمًا حرًّا يتوخى الموضوعية العلمية في تقيمه للظواهر الإنسانية، سواء كانت دينية أم غيرها، ولعله بتأثير ثقافته الواسعة التي يصاحبها التجوال في كثير من بلدان العالم المتقدم والاطلاع على الحضارات المتعددة، مما أثر في توجيه مسار الكتابة السردية عنده، فضلًا عمّا يتميز به من ذوق أدبي رفيع، اشتهر به في الأوساط الثقافية العربية؛ إذ شكل رؤية ذات طابع إنساني تستهدف تنمية الأسس القيمية المتجهة صوب احترام النوع البشري كليا من دون التقيّد بمحددات دينية متشددة أو عرقية ضيقة.

وهذا الخطاب الذي يصفه البحث بالوحدوي، يمكن استعراضه في عدد من المقولات الرحلية لشرق الدكتور محمد حسين هيكل وغربه، كقوله تحت عنوان: (فكرة الأماكن المقدسة)، إذ استعمل الكاتب مفردة (فكرة) التي تعد بمثابة منبه نصي مهم، ينبغي أن يحفز عقل القارئ إلى أنه ثمة مرتكز عقلي مغروس في ذاكرة الناس المرتبطين بهذه الأماكن المقدسة؛ لذلك يبدأ هيكل سرده بـ(أما) الشارحة المفصلة: (فأما المسلمون الذين يحجوّن بيت الله الحرام بمكة، ويزورون قبر النبي عليه السلام بالمدينة، فليس حب الاستطلاع هو الذي يدفعهم لزيارة آثار قديمة توالت عليها القرون، وإنما يدفعهم شعور عميق بأنهم يؤدون فرضًا فرضه الله عليهم، وهم يرون الكعبة ويرون القبر النبوي ببصرهم وبصيرتهم على أنهما متصلان بحياتهما الروحية...وذلك شأن المسيحيين؛ إذ يزورون بيت المقدس، إنهم يشعرون حين يدخلون كنيسة القيامة، وحين يزورون كنيسة المهد ببيت لحم، بأن فلذة من حياتهم الروحية قائمة في هذه الأماكن

المقدسة...واليهود الذين يزورون المبكى ببيت المقدس، يخالط قلوبهم شعور كشعور المسيحيين، وكشعور المسلمين في زيارتهم الأماكن المقدسة عندهم)[١٩].

فمما لا شك فيه أن هذه الأماكن المقدسة، على ارتباط وثيق بحياة الأنبياء والمرسلين الذين يؤمن بهم كل من المسلمين، والمسيحيين، واليهود، والقاسم المشترك عند أبناء هذه الديانات الثلاثة بحسب هيكل: وحدة الشعور بقداسة هذه البقاع المرتبطة بنبي كل دين منها، وسياق الكلام واضح الدلالة في التعبير عن نسق فكري يخرج عن المحددات الضيقة التي تفرق بين الناس، بل إن الشعور العاطفي الإنساني عنصر لا يمكن إغفاله في قراءة مقولة هيكل هذه، ومن الضروري الالتفات إلى أن لغة النص هنا خطاب رحلة تتنقل بين البلدان بحثًا عن التجربة الأنضج، فثمة مكان يقصده الرحالة في رحلته، أو يقصد أخذ وعي قارئه إليه، يضاف إلى ذلك إن هيمنة ضمير الغائب فسحت المجال لعواطف القارئ أن تستجلي تلك المشاعر الدينية التي تقام على أرض الأماكن المقدسة، كما إن سياق الكلام يقترب كثيرًا من لغة العلم، فالعنوان هو (فكرة الأماكن المقدسة)، والفكرة ميدانها الرحب هو ساحة العلم والمعرفة.

فوحدة الإحساس بالمشخصات المكانية مما لا يمكن إغفاله هنا، بل هي جوهر النص في هذا السياق، حيث الارتباط الوثيق بتلك الأماكن بما تحيل إليه – وبرمزية عالية– إلى المقولات العقائدية لأتباع هذه الأديان، وهذا لا يدل بالضرورة على عدم التمييز بين الحدود النوعية الفارقة بين هذه الأديان عند الكاتب، وإنما محل الاشتغال عنده هو بيان طبيعة العلاقات الروحية ذات الخصوصية المكانية لدى الناس وإن اختلفت أديانهم، فوحدة الشعور الروحي في هذه الممارسات العبادية مما لا يغيب عن ذهن الكاتب وقارئه، أي إن هذه الأديان تشترك بوحدة الموضوع، وإن اختلفت في حدود المكان المقدس الذي تقصده شعائريا أعني به (الحج)، وفيه يقول هيكل: (فإذا أصبح الصبح من يوم عرفة، رأيت هذا البطيح ممتدًا أمامك لا يكاد يحيط بحدوده نظرك، ورأيت الناس فيها جميعا لبسوا لباس الإحرام، فهم سواسية، ورأيتهم يتجهون بقلوبهم وأفئدتهم إلى الله يلتمسون التوبة والمغفرة، فأنت تسمع استغفارهم منذ صلاة الفجر لذلك اليوم إلى أن يفيض الناس

من عرفات بعد صلاة العشاء)[٢٠]، فالكاتب يشرك قارئه بإحساسه الروحي الذي غمره من خلال استعمال ضمير المخاطب، حيث يقول: (رأيت هذا البطيح أمامك ممتدا لا يكاد يحيط بحدوده نظرك)، فكأن القارئ ينظر إلى صعيد عرفة بعين الكاتب لا بكلماته، وهي ترصد تلك المشاهد الروحية العظيمة، إذ الناس سواسية يلبسون الإحرام صباحًا متوجهين بقلوبهم إلى الله تعالى.

وشبيه بهذا الكلام قوله في كنسية المهد، وهو يرصد رمزيتها الروحية عند المسيحيين، بوصفها من أشهر الأماكن المقدسة عندهم؛ إذ يقول: (وكنيسة المهد اليوم الفسيحة الجنبات مترامية الأطراف، وأفنيتها تقوم فوق مغارات كثيرة يروي لك الموكلون بها شيئا كثيرًا من القصص المنسوب لها...أما باب هذه الكنيسة فأمره عجب لقد ألف الناس في أبواب الكنائس بهاء وعظمة وجلالا، وألفوا فيها دقة في الفن توازي سائر أجزاء الكنيسة أو تزيد عليها، وكنيسة المهد من أفخم الكنائس وأفسحها رقعة وأكثرها مهابة)[٢١]، فعناية الناس بكنيسة المهد وسائر الكنائس تكشف عن كبير تقديس هذه الأماكن؛ لأنها ذاكرة مكان مقدس جسد الحياة الروحية للمسيحيين عبر الأجيال المتلاحقة، بما تحمله من ذكريات حياة السيد المسيح (عليه السلام) وإلى يومنا هذا، حيث لازال أفواج الحجاج من شتى بلدان العالم يقصدون هذا المكان سنويًّا يستذكرون مسيرة النبي عيسى ابن مريم.

والرحالة هيكل، وهو يلحق موضوع كنيسة المهد بالأماكن الإسلامية المقدسة حيث ذكر بيت الله الحرام وقبر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، إنما سعى لبيان التقارب في وحدة الشعور بإزاء المكان المقدس عند الناس، وإن اختلفوا في الدين، ولم يغفل الكاتب المكان المقدس في اليهودية بوصفها الديانة السماوية الأسبق بالنسبة للمسيحية والإسلام؛ إذ يقول عن (مبكى اليهود): (ومن أجله يذهب المقيمون منهم ببيت المقدس بعد الظهر من يوم الجمعة، أو صبح السبت كل أسبوع على مدار السنة، حتى إذا بلغوا بقية جدار الهيكل وقف ربانيهم على رأسهم يذكر ما أصابهم من هدم هيكلهم، وقتل رهبانهم وذهاب ملكهم، فتسيل لذلك دموعهم ويهوي الحزن بقلوبهم إلى قرار سحيق،

ثم يضرعون إلى الله)[٢٢]، فمشاهد الذكرى الروحية التي يحملها المكان حاضرة في هذه الممارسة الطقسية اليهودية، والمؤلف يساوي بين اليهود والمسيحيين والمسلمين في وحدة الانتماء إلى الأماكن المقدسة دينيًّا، حين يقصدونها بالدعاء إلى الله تعالى وطلب الرحمة والمغفرة، هذه الأحاسيس الروحية يكمن وراءها المكان بما يدل عليه من ذكرى الأديان، حيث شكلت هذه الأماكن المقدسة في هذه الأديان مسرحا جرت عليه أحداث الأنبياء والمرسلين، وهم يدعون إلى الله عز وجل، فالحضور في هذه الأماكن كأنه رجوع الزمن إلى الوراء، فيتمكن هؤلاء الحجاج من استشراف أصولهم الروحية حين كان الأنبياء والمرسلون ينيرون طريق البشرية جمعاء بهديهم إلى الله تعالى.

وختام القول في رصد مسار الخطاب الديني عند هيكل في رحلته موضع الدراسة، يمكّن البحث من القول: إن للكاتب رؤية خاصة في سرد شعائر الأديان، وقوام هذه الرؤية أنها تلتزم الخطاب الذي يجمع الناس على أساس إنساني مشترك بين الجميع، ولكن دقة النظر عند المؤلف ساقته إلى انتقاء ثيمة مركزية لا يختلف عليها الجميع، من جهة فلسفتها وحقيقتها في الممارسة العبادية، هذا الانتقاء جاء في سياق استعراض مشاهدات الرحالة هيكل، مع الأخذ بعين الاعتبار الخصوصية الروحية لهذا الموضوع أقصد الحج إلى الأماكن المقدسة، ليكشف عن تداخل مستويات الخطاب في أدب الرحلة، حيث تشابك المكونات الفكرية والسلوكيات الاجتماعية وتعددها في نص واحد، فإذا كان مبحث الخطاب الاجتماعي رصد مظاهر وأشكال الحياة المادية لأهل تلك المدن التي زارها هيكل، فإن هذا المبحث أعطى دفقة معنوية مكتنزة بأروع صور الجمال الإنساني؛ إذ وحدة الشعور بدت جامعًا لكل أفراد هذه الديات السماوية، ونهاية الكلام في الخطاب الديني المسبوق بالخطاب الاجتماعي، ومن قبله النقدي، تصح أن تكون خاتمة المقال في هذه الدراسة النقدية، حيث أوجزت القول في مستويات الخطاب في رحلة (شرق وغرب) للكاتب الكبير محمد حسين هيكل رحمه الله تعالى.

**الخاتمة:**

بعد رحلة بحثية إلى مكامن الإبداع الأدبي عند الرحالة الأديب محمد حسين هيكل، يصل البحث إلى عرض أهم النتائج التي توصل إليها وهي الآتي:

- يحظى أدب الرحلة في الأدب العربي الحديث، بمنزلة كبيرة لا تقل عن أهميته في التراث العربي القديم.
- أدب الرحلة بخصوصيته المكانية المتعددة، وفّر إمكانية تعدد مستويات الخطاب في نص واحد.
- قدمت رحلة شرق وغرب، رؤية نقدية تعبر عن كبير أثر البيئة المكانية في إثراء التجربة الأدبية.
- عرضت رحلة شرق وغرب وفي سياق التجوال في أحياء باريس، لإسهام الحياة الأدبية في نهضة الأمم.
- قدمت رحلة شرق وغرب ضمن خطابها الاجتماعي إلى القارئ العربي، تجربة الآخر في إمكانية تطوير الحياة؛ ليستلهمها في حياته اليومية.
- توافرت رحلة شرق وغرب على خطاب ديني واع، يوحد بين الناس ولا يفرق بينهم.

merci-journals.ekb.eg M.E.R.C ISSN 2536-9504

**الهوامش**

(١) موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم:٤٩٤.

(٢) أدب الرحلات، د. حسين محمد فهيم:١٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٣.

(٤) ينظر: أدب الرحلة في التراث العربي: فؤاد قنديل:١٩-٢٠، أعمال القروي النثرية: رشيد سليم الخوري: ٤٦٢.

(٥) ينظر: الرحلات: د. شوقي ضيف:٦.

(٦) ذكريات باريس: د. زكي مبارك: ١١.

(٧) الأنظمة السيميائية دراسة في السرد العربي القديم: د. هيثم سرحان:١٢٨.

(٨) ينظر: اللسانيات الاجتماعية عند العرب: د. هادي نهر ١٥٧.

(٩) ينظر: من أدب الرحلة العراقي الحديث، د. سهام جبار:٦١، مجلة الأقلام، ع: ٤، سنة ٢٠٠٨.

(١٠) شرق وغرب: د. محمد حسين هيكل:٩.

(١١) المصدر نفسه: ١٢.

(١٢) نفسه:١٣.

(١٣) نفسه:٢١.

(١٤) نفسه:٥٢.

(١٥) نفسه: ٥٣.

(١٦) نفسه: ٥٣.

(١٧) نفسه: ٦٠.

(١٨) نفسه: ١٢٧.

(١٩) نفسه: ٥٧.

(٢٠) نفسه:٧١.

(٢١) نفسه: ٨٨،٩٠.

(٢٢) نفسه: ١٠٥.

M.E.R.C ISSN 2536-9504 mercyjournals.edu.eg

## المصادر والمراجع


- أدب الرحلات، د. حسين محمد فهيم، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٣٨، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت، ١٩٨٩.
- أدب الرحلة في التراث العربي، فؤاد قنديل، ط٢، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.
- أعمال القروي النثرية، رشيد سليم الخوري، ط١، دار الرائد العربي–بيروت، ١٩٨٤.
- الأنظمة السيميائية دراسة في السرد العربي القديم، د. هيثم سرحان، دار الكتاب الجديد بيروت، ٢٠٠٨.
- ذكريات باريس، صور لما في مدينة النور من صراع بين الهوى والعقل والهدى والضلال، د. زكي مبارك، ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية–القاهرة، ٢٠١٢.
- الرحلات، د. شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦.
- شرق وغرب، محمد حسين هيكل، ط١، كلمات عربية للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربية– القاهرة، ٢٠١٢.
- اللسانيات الاجتماعية عند العرب، د. هادي نهر، ط١، دار اليازوري العلمية–الأردن، ٢٠١٢.
- من أدب الرحلة العراقي الحديث، د. سهام جبار، مجلة الأقلام ، ع: ٤، سنة ٢٠٠٨.
- موسوعة السرد العربي، د. عبد الله إبراهيم، ط١موسعة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ٢٠٠٨.


M.E.R.C ISSN 2536-9504

# Middle East Research Journal

Refereed Scientific Journal ( Accredited ) Monthly
Issued by Middle East Research Center

Forty-seventh year · Founded in 1974

Vol. 68 October 2021

Issn: 2536-9504

Online Issn :(2735-5233)